

عن القصيدة المسماة «لوت — Loot» (وهي قصيدة غنائية عسكرية تصف طرق انتزاع الكنوز الدفينة من أبناء البلاد): «هذا مثير للاشمئزاز تماماً، وهو أمر يجعل المعلق على كيلينغ يحمرّ غضباً حين يجتهد في شرحه». وهذا يعني أن أدجل في القصيدة، بقراءتها، موقفاً لم أشتبه به من قبل أبداً. ولست أعتقد أنه كان في هذه القصيدة يمتدح النزوع إلى النهب والجشع في مثل هذه الألوان من الشذوذ، أو يتغاضى عن السلب. ولو أننا ظننا. هذا الظن لكان علينا أن نفترض أن قصيدة «السيدات» كتبت لتمجيد أشكال متنوعة من الزواج المختلط من قبل جنود محترفين متمركزين في بلاد أجنبية. لقد كان كيلينغ في العصر الذي تنتمي إليه هذه القصائد، يشعر بلا ريب، أن ضابط الصف المحترف، وضباطه أيضاً، لم يكونوا يلقون التقدير من لدن مواطنيهم المسلمين في الوطن، وأنه كان هناك، في معاملة الجندي، والجندي المسرح أقل مما هو عدالة اجتماعية في الغالب: ولكن هذا الاهتمام كان من أجل التعريف بالجندي لا من أجل إضفاء المثالية عليه، وكان ينقم على العاطفية، كما ينقم على إساءة التقدير أو الإهمال — وكل من الموقفين يترتب عليه استدعاء الآخر.

لقد قلت إنه ليس في كيلينغ الشاعر، تطوّر، بل تحوّل، وأنه لا بدّ لنا، من أجل التطور، أن نلتمس التغيرات في البيئة وفي الإنسان نفسه، فالفترة الأولى فترة الهند، والثانية فترة الترحال والإقامة في أمريكا، والثالثة فترة الاستقرار في سسكس، وهذه الأقسام واضحة، أما ما ليس واضحاً إلى هذا الحد، فهو تطوّر نظرتيه إلى الامبراطورية، وهي نظرة تتسع وتنكمش في الوقت ذاته. وقد كان على الدوام بعيداً عن أن يكون ضعيف التمييز إزاء نقائص الامبراطورية البريطانية ومعابها، ولكنه كان سعتنق عقيدة راسخة فيما ينبغي ويمكن أن يكون. وفي طوره اللاحق تصبح انكلترا، بل ركن مخصص من انكلترا، مركز لاؤيته، فهو أكثر اهتماماً بمشكلة سلامة نواة الامبراطورية، وهذه النواة شيء أقدم وأكثر طبيعية وأكثر ديمومة. ولكن رؤيته تتخذ في الوقت ذاته وجهة نظر أرحب، فهو يرى الامبراطورية الرومانية ومكان انكلترا فيها.